

ميدل إيست آي: لهذا تتمدك أوروبا بالعقلية الاستعمارية



السبت 13 مايو 2023 04:27 م

أشار موقع "ميدل إيست آي" البريطاني، إلى أن تعليقات رئيسة المفوضية الأوروبية "أورسولا فون دير لاين" تكشف مرة أخرى عن هياكل السلطة في أوروبا العنصرية، والتي تشكك في إنسانية الشعوب المقهورة [1] وقال الموقع في مقال للكاتب "إميل بادارين": "على مدار 75 عامًا، يحيي الفلسطينيون في جميع أنحاء العالم ذكرى النكبة، والتي تشير إلى التطهير العرقي وتدمير المجتمعات الفلسطينية في عام 1948 لإفساح المجال لدولة حصرية للمستوطنين الصهاينة الأوروبيين [2] لا يزال الفلسطينيون يشعرون بالعواقب حتى اليوم".

وفي هذه المناسبة، يحتفل اليهود الإسرائيليون أيضًا باستقلالهم [3] وأضاف "ميدل إيست آي": "ولأوروبا دور مباشر وغير مباشر في نزع ملكية الفلسطينيين وتأسيس إسرائيل، لذا فليس من المستغرب أن يشارك العديد من المسؤولين الأوروبيين في الاحتفال بهذا المشروع الاستعماري الاستيطاني". في هذا السياق، أصدرت "فون دير لاين" الشهر الماضي، رسالة مصورة تقول: "قبل خمسة وسبعين عامًا، تحقق حلم مع عيد استقلال إسرائيل [4] بعد أكبر مأساة في تاريخ البشرية، تمكن الشعب اليهودي أخيرًا من بناء منزل في أرض الميعاد". وأضافت: "نحتفل اليوم بمرور 75 عامًا على الديمقراطية النابضة بالحياة في قلب الشرق الأوسط [5] 75 عامًا من الديناميكية والإبداع والابتكارات الرائدة [6] لقد جعلت الصحراء تتفتح حرفياً".

كان بيانها مليئًا بالدعاية الصهيونية والأكاذيب التي فضح زيفها العديد من المؤرخين المشهورين، بمن فيهم المؤرخون الإسرائيليون [7] ليس من الضروري مناقشة هذا الجانب بمزيد من التفصيل هنا [8] النقطة الدقيقة الوحيدة تتعلق بما وصفته "أكبر مأساة" - المحرقة - دون تسمية مرتكبيها [9]

بيان "فون دير لاين" يردد أصدااء الخطاب الأوروبي الاستعماري النموذجي [10] لا تكمن أهمية كلماتها في محتواها فحسب، بل تكمن أيضًا في العقلية الاستعمارية والعنصرية والخيال الأيديولوجي الكامن وراءها [11]

أرض الميعاد

وأشار "ميدل إيست آي" إلى أن المستوطنون الأوروبيون كانوا ينظرون إلى الأراضي التي تم غزوها على أنها "أرض الميعاد" منذ عام 1492، مستخدمين الأساطير التوراتية لتبرير نزع الملكية والاستعباد الاستعماري [12] وزعموا أيضًا أنهم جعلوا الأرض التي تم الاستيلاء عليها تزدهر من خلال براعتهم الفائقة وابتكارهم وعملهم [13] هذا المنطق الأوروبي الحديث والاستعماري نفسه مكّن وشرع استعمار الكثير من العالم، بينما استعبد وأباد الملايين من الناس في إفريقيا والأمريكيتين [14]

وقد مكنت هذه العقلية أيضًا الاستعمار الاستيطاني ونظام الفصل العنصري الإسرائيلي الحالي في فلسطين [15] ومن هذا المنظور، فإن أوروبا وإسرائيل لديهما "قيم مشتركة" - وإن كانت عنصرية واستعمارية واستيطانية [16]

وأظهرت "فون دير لاين" في بيانها عدم مبالاة تامة تجاه معاناة الفلسطينيين وانتهاكات حقوق الإنسان التي يتعرضون لها [17] هذا التجاهل هو مظهر من مظاهر "العنصرية ضد الفلسطينيين"، التي يشعر بها الفلسطينيون بعمق [18] كما أن هذا التجاهل له وظيفة: فهو يتفه من كون الفلسطينيين بشر ويقال من معاناتهم ومصالحهم [19] وحينها فقط تظهر إسرائيل كدولة ديمقراطية [20]

يتوافق هذا الموقف الأساسي مع الهياكل العنصرية للسلطة التي تشكك في إنسانية الشعوب المستعمرة والمستعبدة [21] وتابع "ميدل إيست آي": "يبدو أن إسرائيل ديمقراطية نابضة بالحياة" فقط لأولئك الذين لا يرون الفلسطينيين على أنهم بشر لهم حقوق وتطلعات متساوية [22] إن الدولة التي تكرر في القانون الإقصاء والقهر المنهجي لخمسين بالمائة من سكانها ليست دولة ديمقراطية، بل دولة فصل عنصري".

بينما كان هذا التمييز موجودًا في إسرائيل منذ تأسيسها، فقد تم تعزيزه من خلال قانون الدولة القومية لعام 2018.

الأساطير الصهيونية

لطالما كان جعل "الصحراء تزهر" أحد أعمدة الرواية الأسطورية الصهيونية [23] ناهيك عن حقيقة أن فلسطين كانت تاريخيًا من بين أكثر الأجزاء خصوبة في المنطقة، حيث تتمتع بحياة ثقافية واقتصادية وتعددية في الأديان لقرون وحتى آلاف السنين [24] لكن هذه الأسطورة لا تنفرد بها الصهيونية [25] بل إنها تحاكي ببساطة المستوطنين الأوروبيين الاستعماريين الآخرين الذين استخدموا نفس الخطاب لتبرير نزع

ملكية الشعوب الأصلية

لم يقتصر هذا المشروع الصهيوني على تجريد الفلسطينيين من أراضيهم فحسب، بل شمل أيضاً سرقة موارد المياه العذبة الخاصة بهم وعلى مدى عقود، تقوم إسرائيل بتحويل المياه من حوض نهر الأردن إلى مشاريع في صحراء النقب، مما أدى إلى تفاقم ندرة المياه والتصحّر، مما أدى إلى تغيير كبير في النظام البيئي المحلي. الحقيقة هي أن "إزهار الصحراء" المزعوم أصبح ممكناً من خلال سرقة مياه السكان الأصليين، وتحويل أرضهم التي كانت خصبة إلى صحراء.

بالنسبة للفلسطينيين، كما هو الحال بالنسبة للشعوب الأصلية الأخرى، فإن الأراضي التي اعتبرها المستوطنون الأوروبيون والصحابة بريّة أو أرض قاحلة أو صحراء كانت في الواقع بيئات غنية مناسبة لأساليب العيش غير الاستعمارية، والتي تم ممارستها وصقلها عبر الأجيال. يتضح هذا بشكل خاص في حالة البدو الفلسطينيين الذين يعيشون في النقب، والذين تعايشوا مع الصحراء لأجيال، على الرغم من السياسات الإسرائيلية المستمرة التي تهدف إلى إجبارهم على ترك أراضيهم.

التخيلات العنصرية

في أكتوبر الماضي، أدلى زميل "فون دير لاين"، منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي "جوزيب بوريل" بتأكيدات استعمارية. لقد قسّم العالم إلى "حديقة" أوروبا المعنى بها جيداً و "غابة" وهي بقية العالم. وذكر "ميدل إيست آي" أن صور الحديقة أو الغابة ليست مجرد زلة لسان ولكنها تعكس قروناً من الخطاب والممارسات. كان هذا النمط من الخيال الجغرافي بمثابة وعي وظيفي استخدمه المستعمرون الأوروبيون لتبرير حقوقهم الأخلاقية والقانونية لغزو أراضي الشعوب غير الأوروبية وإخضاعها واستعبادها والاستيلاء عليها. أظهرت تصريحات "بوريل" تجاهلاً صارخاً لفاعلية الشعوب غير الأوروبية. ومثل "فون دير لاين"، يبدو أنه تغاضى عن حقيقة أن ما يسمى بالحديقة المسالمة والمتحضرة قد بُنيت على الخطاب العنصري لـ "الربع الأسود" خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، بهدف استغلال إفريقيا.

وتكشف هذه اللحظات عن مرونة التصورات الجغرافية الاستعمارية والأيديولوجية والدينية والعنصرية، حتى بين أعلى المستويات في جهاز صنع السياسة في الاتحاد الأوروبي. وهذا يثير الشكوك حول صدق خطابها حول ما يسمى بحل الدولتين وحقوق الإنسان في فلسطين وخارجها.

وختم "ميدل إيست آي" قائلاً: "على الاتحاد الأوروبي - والجهات الفاعلة الأخرى التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان والعدالة - مواجهة وتفكيك الهياكل الاستعمارية والعرقية التي تمكن هذه الهياكل الفكرية من الاستمرار".

<https://www.middleeasteye.net/opinion/europe-desert-bloom-colonial-mindset-clings-why>